شعرية الضوء في ديوان

«أُنثَى تُحَرِّرُ الوَجَع!» لإبراهيم حَلُّوش

(دراسة إنشائية)

Poetics of Light

In the poetry collection «A Woman Liberates the Agony!» by Ibrahim Halloosh

(A structural study)

إعداد الدكتور

صالح بن أحمد السهيمي

أستاذ الأدب والنقد المشارك، جامعة الملك خالد، السعودية.

١٤٤٥هـ = ٢٠٢٤م.

الملخص

يسعى البحث إلى دراسة شعرية الضوء دراسة إنشائية في ديوان «أنثى تحرر الوجع!» للشاعر السعودي إبراهيم حلُّوش، مستعينا بالسيميائية؛ للكشف عن الرموز والدلالات الضوئية الظاهرة في النصوص الشعرية، والظاهرة مرتبطة بطبيعة التفكير الشعري لدى الشاعر، على مستوى البناء النصي والخطاب الشعري في كثير من قصائده الشعرية.

وستركز الدراسة على مفهوم الضوء في النص الشعري، وكيف استلهمَ الشاعرُ الضوءَ ووظّفهُ في بنائه النصي، وما الرسالةُ الكامنةُ وراءَ شعرية الضوء ورمزيته في الخطاب الشعري. كما سَيُقّسَّمُ البحثُ إلى أقسام، هي: مفهوم شعرية الضوء في النص الشعري، شعرية الضوء والثنائيات الضدية، شعرية الضوء والرمز، الخاتمة.

ويخلص البحث إلى أهم النتائج، ومنها: أبانت شعرية الضوء عن تنوع الصور الضوئية؛ كاشفةً عن عالمٍ من الألوان توازي المقامات وتشكّلات الذات عبر مواقفها وسياقاتها الشعرية،.وأظهرت إنشائية الضوء الثنائيات والبناء الدرامي للصراع والتضاد؛ مبينة عن رمزية الوجع، وأفصح الخطاب الشعري عن معانٍ إنسانية حاول الشاعر بثّها متكئا على البناء الشعري للصور الضوئية في نصوص الديوان. وحضر الرمز الشعري في أدبية الضوء عبر صورتين في الديوان، تمثلتا في: صورة البطل الموجوع والأنثى المثال.

الكلمات المفتاحية: إبراهيم حلُّوش، الإنشائية، الثنائيات الضدية، الخطاب الشعري.

Abstract:

The study attempts to explore the poetics of light in a structural study as found in the poetry collection «Female Liberates the Agony!» by the Saudi poet Ibrahim Halloosh. The study employs semiology to identify the light signs and signifiers in the poetic verses. The phenomenon is related to the nature of the poet's poetic thinking, at the level of textual construction and poetic discourse in many of his poems.

The study focuses on the concept of light in the poetic text, how the poet was inspired by light and used it in his textual construction, and what message behind the poetics of light in poetic discourse. The study's sections include: the concept of the poetics of light in the poetic text, the poetics of light and opposite binaries, the poetics of light and sign, and conclusion.

The study concludes with the following most important: The poetics of light revealed the varieties of light images; revealing a world of colors that parallel the positions and formations of the self through its poetic positions and contexts. The construction of light revealed the binaries and dramatic construction of conflict and contrast; revealing the signs of agony The poetic discourse revealed human meanings that the poet tried to spread, relying on the poetic construction of light images in the texts of the collection. The poetic symbol was present in the literature of light through two images in the collection represented by: the image of the suffering hero and the ideal female.

Keywords: Ibrahim halloosh, structuralism, oppositional binaries, poetic discourse.

* Associate Professor of Literature and Criticism, King Khalid University, Kingdom Saudi Arabia.

المقدمة

تُعدُّ شعريةُ الضوءِ امتدادًا طبيعيًا لِمَا جاءَ في تراثِنَا العربيِّ الشعريّ، ولهذا الامتدادِ دلالةٌ على استمراريةِ الإبداعِ الشعري وتطورِه على مُسْتوَى الشاعرِ الفرد ووعيه الفنيّ بالضوء ودلالاته، ليس هذا فحسب؛ بل على مستوى الوعيّ الجمعيّ أيضا المتمثل في الأجيال الشعرية وتوارثها للتراكيب الشعرية المتصلة بالبناء الضوئي أو الصور والأساليب الفنية والقيم الجمالية في أشعارهم وقصائدهم، فلكل جيل تعامله الشعري مع الضوء والظواهر الأخرى في مدونة الشعر العربيّ.

وتجلتْ شعريةُ الضوءِ في كثيرٍ من التشكيلاتِ الشعريةِ والسياقاتِ المختلفة في النصوص الإبداعية قديما وحديثا، حيث الثراء الإبداعي والتنوّع الشعري في التعاطي الإبداعي مع الأنوار والأضواء، ولو استحضرنا بعض الأمثلة الشعرية الدَّالة على الضوء ومصادره المتعددة؛ لوقفنا على شواهدَ كثيرةٍ تنمُّ عن وعي الشعراء بالظاهرة الضوئية ودلالاتها في التراث العربي، وتتوالى الشواهد في الشعر العربي القديم حتى عصرنا الحالي، ولعلها ظاهرة أقلقت الشعراء في البحث عن النور ومصادره وعلاقاته وجماليته في التأمل الكوني واستجلاء الواقع، وما يحمله من أبعادٍ تتباين بين الواقعية والخيالية، وقد تتقارب حسب السياق وموقف الشاعر من الضوء في قصيدته.

لذا جاء موضوع البحث بعنوان: شعرية الضوء في ديوان «أنثى تحرر الوجع!» لإبراهيم حلوش[1] حيث تكمن إشكالية الدراسة في ظاهرة الضوء وارتباطها بمقومات

(١) الشاعر **إبراهيم بن أحمد حَلُّوش**، من مواليد (محافظة بيش) بمنطقة جازان ١٩٧٩م، دبلوم مُحَضِّري المختبرات المدرسيّة، كلّية المعلمين بأبها ١٤١٩ هـ، بكالوريوس لغة ونحو وصرف – انتسابًا- جامعة أمّ القرى ١٤٣٥هـ. وهو الآن باحث في مرحلة الماجستير تخصص لغويات (لسانيّات حديثة) بجامعة الملك خالد. عضو في بعض المؤسسات الثقافية والاجتماعية، ترجمت بعض نصوصه الشعرية إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية، حاز على العديد من شهادات الشكر والتقدير والدروع من مؤسسات ثقافيّة واجتماعيّة مختلفة داخل الوطن وخارجه. كتب أكثر من

فنية مرتبطة بالبناء النصي والخطاب الشعري لدى الشاعر، ويحاول البحث الإجابة على بعض الأسئلة المشكلة، ومنها:

- ما مفهوم شعرية الضوء؟
- كيف استلهم الشاعر الضوء ووظّفه في بنائه النصي؟
- ما الرسالة الكامنة للضوء ورمزيته في الخطاب الشعري؟

أربعين "أوبريت" وطني واجتماعي وثقافي من أهمّها "أوبريت" حفل افتتاح سوق عكاظ الثامن ١٤٣٦هـ بالطائف، واختار له اسم "نبض الأرض"، لحّنه الملحن: خالد العليّان وأخرجه المخرج: فطيّس بقنة وأدّاه الفنّان: عبد الـلـه رشـاد.

حصد الكثير من الجوائز التقديرية داخل الوطن وخارجه، منها: جائزة الأمير عبدالله الفيصل العالميّة للشعر العربي في دورتها الثالثة ٢٠٢١م، فرع القصيدة المغناة عن قصيدته (نبض الأرض)، وجائزة أبها للتعليم العالي في مجال الشعر الفصيح في عامين متتاليين١٤٢٥هـ-١٤٢٦هـ عن طريق قصيدته مورد الحب، ١٤٢٦هـ-١٤٢٧هـ عن طريق قصيدته سحر الهواء. وفاز بالمركز الأول في مسابقة الوطن في عيون الشعر التي نظمتها وزارة الثقافة والإعلام للشعراء الشباب على مستوى المملكة عن طريق قصيدته "هالات البياض" وألقاها في حفل الوزارة باليوم الوطني والأيام الثقافيّة مساء الأحد ٨/ ١٠/ ١٤٣٠هـ، وتحصّل على المركز الأوّل في مسابقة صوت الوطن التي نظّمتها اللجنة الثقافيّة برجال ألمع بالتعاون مع نادي أبها الأدبي للاحتفال بالذّكرى السادسة والثّمانين لتوحيد المملكة العربيّة السّعوديّة وذلك يوم الثلاثاء ٢٦/ ١٢/ ١٤٣٧هـ عن طريق نصّه الشّعري الوطني "عُرس الطِّين". وحصل على المركز الأول في جائزه الشيخ راشد بن حميد لثقافه والعلوم (أدب الطفل) بالإمارات العربية المتحدة (عجمان) في دورتها ٣٥ لعام ١٤٤٠هـ. كما وصل مراحل متقدمة من برنامج أمير الشعراء في موسمه العاشر، واختارته المجلة العربية كشخصية ثقافية "بورتريه" للعدد رقم ٥٥٢ سبتمبر ٢٠٢٢م. كُتب عن شعره بعض الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، وله من الدواوين الشعرية المطبوعة: ديوان فصيح مطبوع بعنوان "أُنثى تُحِرِّرُ الوجع!" عن طريق نادي الباحة الأدبي بالتّعاون مع دار الانتشار ببيروت ٢٠١٧م. وله دواوين أخرى مخطوطة، منها: ديوان وطني فصيح بعنون هالات البياض- قيد الطبع - وكتاب مخطوط بعنوان: أهزوجات وأناشيد ومسرحيَّات للأطفال بعنوان "عرس الغيمات".

دفعني لاختيار الموضوع بعض الأسباب، منها: طرافة الموضوع وجدته في الشعر السعودي، فيما يبدو لي، وغياب الدراسات العلمية التي تناولت تجربة الشاعر في شعرية الضوء لا سيما بعد مرحلة البصيرة الإبداعية التي تعتمد على الذاكرة، وترسم المشاعر بصدق الإحساس، وأدبية الضوء حاضرة قبل الديوان وبعده(١).

ولعل من أهم **الدراسات السابقة** التي أفدت منها:

١- دراسة بعنوان: «**النور والظلام في الشعر السعودي - دراسة نقدية**» لأحمد بن عيسى الهلالي(٢)، توسعت الدراسة في تناول ثنائية النور والظلام في مدونة الشعر السعودي دراسة نقدية وأسلوبية، تتبع الباحث فيها مصادر النور والظلام، وسياقتهما، وثنائياتهما، والصورة الفنية، والرمز الشعري، والظواهر الأسلوبية، ولم تتناول ديوان الشاعر إبراهيم حلّوش كون الدراسة أقدم من ديوانه، ولكنني أفدت منها في تحليل الضوء جماليا والتعمّق في دراسة الجانب الموضوعي والفني لظاهرة النور/ الضوء، ودراسته في ضوء الثنائيات والرمز الشعري.

٢- ودراسة بعنوان: «**شعرية الضوء وتجلياته في ديوان قطرات من ظمأ للشاعر غازي القصيبي**» لمريم إبراهيم غبان(٣)، نحت الدراسة منحى جماليا في دراسة ظاهرة الضوء في

---

(١) وللتوضيح للمتلقي أن الشاعر **إبراهيم حَلُّوش**، فقد بصره في أواخر العام ١٤٣٩هـ، وأكرمه الله بالبصيرة الإبداعية والعزيمة والإصرار على مواصلة طريقه نحو مشاريعه الإبداعية والعلمية، وهذا يعني أن ديوانه المدروس نشره قبل فقد البصر، ولعل شعرية الضوء تمتد معه في الدواوين الأخرى؛ لتكون أكثر وجاهة وإبداعا وخصوصية.

(٢) انظر: الهلالي، د. أحمد بن عيسى، **النور والظلام في الشعر السعودي**، دراسة نقدية، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط ١٤٣٧هـ.

(٣) انظر: الكيلاني، مريم محمد هاشم البغدادي، **مقالات في الأدب العربي القديم**، دراسة مقارنة، والبحث: "ظاهرة الضوء جماليا في الشعر الجاهلي" إصدارات دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة، كتاب المنهل (٢١) السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ، ص٢٠٤.

ديوان «قطرات من ظمأ» للشاعر السعودي غازي القصيبي، ووقفت على تمثلات الضوء في الديوان من حيث الدلالات الضوئية: البريق والانعكاس والانكسار والشفافية والاعتام، وأفدت من الدراسة تناولها الدلالي للضوء من حيث البعد الرمزي وعلاقته بالخطاب الشعري، والتحليل السيمائي لرموز الضوء وتجلياته في ديوان الشاعر.

٣-وبحث ثالث بعنوان: «**تمثلات الوجع في ديوان أنثى تحرر الوجع!**» لزاهر الفيفي[(١)]، حيث درسَ الباحث تمثلات الوجع في الديوان دراسة أسلوبية أفدت منها في تناوله لعالم الوجع، والتوصية التي خرجت بها الدراسة، حيث أشار الباحث إلى الثنائيات الضدية والسيميائية في الديوان، ولكنها لم تقف على شعرية الضوء أو تشرْ إليها رغم انتشارها في الديوان الشعري، وحضورها الملفت الذي يشكّل دلالات تتمركز حول دلالة طوق النجاة؛ لكثير من الأوجاع الحاضرة في النصوص الشعرية، وفي عذابات الذات الشاعرة المتمثلة في المدونة الشعرية.

ولم أطلع على دراسة علمية تناولت شعرية الضوء في شعر إبراهيم حلوش -حد علمي- لذا رأت الدراسة أن المنهج الأنسب لدراسة شعرية الضوء يتمثل في المنهج الإنشائي الذي يجمع في تحليله بين البنية الشعرية والخطاب الشعري، والاستعانة بالسيميائية؛ للكشف عن بناء الدلالات الضوئية وعلاقتها بالثنائيات الضدية، والبناء الدرامي للصراع والتضاد على مستوى النصوص الشعرية، ورمزية الوجع والدلالات الأخرى الكامنة وراء الخطاب الشعري.

وسوف يسير البحث بعد المقدمة على النحو الآتي:

- **مفهوم شعرية الضوء.**

---

(١) انظر الفيفي، زاهر، **"تمثلات الوجع في ديوان أنثى تحرر الوجع!"** مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، العدد: ٩، السنة : الثالثة: سبتمبر- ديسمبر: ٢٠٢٠م محرم – ربيع الآخر ١٤٤٢هـ ص٣٠١.

- **شعرية الضوء والثنائيات الضدية.**
- **شعرية الضوء والرمز.**

ثم الخاتمة.

١-مفهوم شعرية الضوء:

تتجه المقاربات الشعرية في ضوء النقد الإنشائي نحو المنحى الجمالي، حين تنأى عن الشكلية المغلقة في تعاملها الفني مع النص الشعري، وتسعى إلى تطبيق القراءة الجامعة بين العلمية والذوقية في التعامل مع الظواهر الأدبية، كظاهرة الضوء في النصوص الشعرية، والضوء ليس مفهوما مدرسيا يأتي به الشاعر كمفردة عابرة في النص الشعري؛ بل نظام بنائي يستوعبه الشاعر، ويترجمه في النص الشعري، ونَسَقٌ من ضمن أنساق التفكير يستقرُّ في الوعي الشعري.

وقد أشار محمد مفتاح في كتابه «تحليل الخطاب الشعري» إلى أهمية المعجم واستكانه النص الشعري يكون «بتجاوز ما يوحي به الظاهر إلى خبيئه»[1] على مستوى الدلالة والخطاب في الجمع بين المستويين: السطحي والعميق.

يتجلى الضوء ودلالاته في تجربة إبراهيم حلُّوش الشعرية بصورة واضحة وجليّة؛ لا سيما في ديوانه الشعري «أنثى تحرّر الوجع!»، ولكن ما مفهوم الضوء والصور الضوئية؟ وما الدلالات الكامنة خلف التراكيب الشعرية المتصلة بالضوء وحقوله المعرفية؛ لهذا تتشكل الإجابة بعد تتبع أقوال اللغويين في تعريف الضوء، وأراء الباحثين فيه.

فالضّوْءُ: من «ضوأ: الضَّوءُ والضُّوءُ، بِالضَّمِّ، مَعْرُوفٌ: الضِّياءُ، وَجَمْعُهُ أَضْواءٌ. وَهُوَ الضِّواءُ والضِّياءُ (...) والضَّوْءُ والضِّياءُ: مَا أضاءَ لَكَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ». يُقَالُ: ضاءَ السِّراجُ يَضوءُ وأَضاءَ يُضِيءُ. قَالَ: وَاللُّغَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ

(١) انظر مفتاح، محمد، تحليل النص الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، ط٤، الدار البيضاء، المغرب، ص٦٨.

المُختارة، وَقَدْ يَكُونُ الضِّياءُ جَمْعًا. وَقَدْ ضاءَتِ النارُ وضاءَ الشيءُ يَضُوءُ ضَوْءاً وضُوءاً وأَضاءَ يُضِيءُ. وَفِي شِعْرِ الْعَبَّاسِ:

وأَنْتَ، لمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَت الأَرضُ،

وضاءَت، بِنُورِك ، الأُفُقُ.

يُقَالُ: ضاءَتْ وأَضاءَتْ بِمَعْنى أَي اسْتَنارَتْ، وصارَت مُضِيئةً. وأَضَاءَتْه، يَتعدَّى وَلَا يَتعدَّى. قَالَ الْجَعْدِيُّ:

أضاءَتْ لَنَا النارُ وَجْهًا أَغَرَّ،

مُلْتَبِسًا، بالفُؤَادِ، التِباسا .

أَبو عُبَيْدٍ: أَضاءَتِ النارُ وأَضاءَها غيرُها، وَهُوَ الضَّوْءُ والضُّوءُ، وأَمَّا الضِّياءُ، فَلَا هَمْزَ فِي يَائِهِ. وأَضاءَه لَهُ واسْتَضَأْتُ بِهِ»[1]. وفي **المعجم الوسيط**: «الضوء والنُّورُ مُتَرَادِفان، إلا أنَّ الضوءُ أَقوى وأَسطعُ من النورِ، أَو الضَّوْء لما بِالذَّاتِ كضوء الشَّمْس وَالنَّار والنور لما بِالْعرضِ والاكتساب من جسم آخر كنور الْقَمَر وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {هُوَ الَّذِي جعل الشَّمْس ضِيَاء وَالْقَمَر نورا} [2]، وللضوء حقوله الدلالية التي تترادف معه، كالنور والسنا والإشراق والإصباح والإنارة والمتوهج وغيرها من الدلالات المتطورة عبر الأزمنة التاريخية في مدونة التراث العربي.

وبناء على ما سبق، «فقد حفلت معاجم العربية بمادة ثريّة تتعلق بالضوء ومنابعه، سواء أكانت طبيعية كالشمس والقمر والبرق، أم صناعية كالمصابيح والسرج والنار وما

(١) انظر ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣- ١٤١٤ هـ (المجلد الأول/ ص١١٢).

(٢) انظر المعجم الوسيط، باب الضاد، المكتبة الشاملة، ص٥٤٦.

إليها، أم عاكسة للضوء لصفائها وحسن صقلها كالسلاح والحلي واللآلئ وغيرها مما يشاهد في الطبيعة»[1].

وبهذا تتجلى شعرية الضوء في مدونة الشعر العربي قديمه وحديثه، وتحضر لدى الشعراء في معاجمهم الشعرية عبر الأزمنة والأجيال؛ لتكوّن دلالات مهمة في أنساقها اللغوية وبنائها الشعري. وانطلاقا من هذا الحضور يظهر معجم الضوء في تجربة حلوش الشعرية منذ البدايات الأولى، إذ نراه في العتبات النصية كالغلاف والإهداء مثلا، إذ يبدو الغلاف بلونه الأبيض الطاغي دالاً على استلهام البياض، في إشارة لهيمنة الأبيض على الألوان المتمازجة في الغلاف، ولذلك دلالة تتبدى في غلبة النور على الظلام، والمجد دائما للنور الذي يقود الإنسان نحو حياة أفضل، وفي المساحة الضوئية للغلاف يسيطر اللون الأبيض على الألوان الأخرى، ويهيمن الضوء على العتمة المتمثّلة في مزج الألوان بعضها ببعض في اللوحة الفنية، حيث اللون الأصفر الدال على لون النار كمصدر للضوء، واللون الأحمر لون الشفق الدال على لحظة الامتزاج بين مصدري النور والظلام في الأفق، ولعل امتزاج اللون الأزرق بالألوان الأخرى فيه دلالة على الجمع بين شعرية الضوء وعالم الوجع والألم التي تسيطر على نصوص الديوان الشعرية، وعالم الثنائيات الدالة على ضبابية المزج اللوني وتداخله، ولا يقف الشاعر عند اختياره للغلاف، بل يتجاوز الغلاف إلى الإهداء، حيث يهدي ديوانه «إلى الضوء الذي لامس نبضه فاهتدى قلبه به!»[2]. ولا يقف المعجم الشعري في الوعي بقيمة الضوء على مستوى العتبات النصيّة؛ بل يمتد إلى المتن؛ متوغلا في النصوص الشعرية، ومؤسسا للظاهرة الضوئية التي تجوب الديوان شكلا ومضمونا.

---

(١) انظر: الكيلاني، مريم محمد هاشم البغدادي **مقالات في الأدب العربي القديم**، دراسة مقارنة، والبحث: "ظاهرة الضوء جماليا في الشعر الجاهلي" ، ص٢١٢.

(٢) حلوش، إبراهيم، (**أنثى تحرر الوجع!**) نادي الباحة الأدبي، دار الانتشار العربي، ٢٠١٧م ، ط ١، ص٧

إذ يعد الوعي بالعتبات الأولى في الأعمال الإبداعية وعيًا بأهمية الفن، وهيمنةً للموضوع على النصوص الشعرية على وجه الخصوص، حيث الوعي الإبداعي في الشعر يتجلى عبر مراحل البنية النصية والخطاب الشعري على حدٍّ سواء.

وبهذه البدايات تتشكّلُ الصور الضوئية التي تجيء في سياق الاحتفاء بشعرية الضوء، فتتركز النصوص الشعرية على الضوء ومرادفاته، وتتجه إلى مدارات توحي بالاشعاع الضوئي، وتتكشف الأمثلة عبر النصوص الشعرية الدالة على أهمية المعجم وتعدده في التعامل مع مفردات الضوء واستحضارها في الديوان، ومن ذلك قول الشاعر:

قنديل بهجتنا

وحزنُ سمائنا

وهَجُ البيادرِ

والمدائن

والأبدْ. (١)

فالشعر هنا ضوء وقنديل بهجة؛ ينطلق الشاعر في البحث عنه عبر وهَجِ البيادر في القرية إلى المدائن إلى الكون، حيث استوقفني الشاعر عند لفظة «الأبد» للدلالة على سرعة الزمن غير المتناهي الذي لا حد له، وإن كان قد توقف الباحث الهلالي(٢) عند هذه اللفظة تحديدًا في بعض النماذج الشعرية السعودية، فإنني أعتقد أن الشاعر حلّوش عبر انتقاله السريع بين المكان والزمان ألجأته القافية والوزن الشعري والاستحضار الزمني لهذه اللفظة: «الأبد»؛ للدلالة على ضغط شعرية الضوء المتمثلة في «قنديل البهجة»، وإلحاح الصورة الضوئية الجامعة بين المكان والزمان؛ لقول الشعر والتمثّل به. ومعجمه الشعري

(١) الديوان: ص٥٦

(٢) انظر: الهلالي، د. أحمد بن عيسى، **النور والظلام في الشعر السعودي**، ص: ١٠١

لا يقف عن مفردات ضوئية يسيرة فحسب؛ بل يتجاوز ذلك إلى رؤية كونية للشعر، تتمثل في رؤيته للشعر وبحثه الدؤوب عن جمالياته المستمرة التي تتجسد في الجمرة الحارقة والموجة المغرقة والمزن الحيّ[1].

ويستدعي الشاعر مفردة الضوء في نصه الشعري «تقاسيم لا تموت»، وهو بالمناسبة التي أشار إليها في الديوان، إهداء لأخيه الذي فقده وغادر الحياة، إذ يقول:

تقاسيم عينيك ما غادرتني

كأنني انتزعت ملامح وجهك منك

لأزرعها في عينيّ ضوءا نقيّا

فكيف تغيبُ؟! [2]

وفي سؤاله الذي يُعدُّ مفتاحَ القصيدة وبوابة الدخول إلى النص؛ تتجلى الإجابات عنه في رؤية الشاعر للأخ عبر شريط الذكريات «ضوءا نقيا» يدسّه في تضاعيف الأيام واللحظات التي ترافقا فيها في العيش والحياة معًا، ويراه في زوايا البيت والمكتبة والسيارة، حتى انتهى به المطاف أن أخاه يطيل السكوت!! فعاد إلى سؤاله الشعري: كيف يموت؟! وللأسئلة في الشعر دور تحفيزيٌّ نحو إثارة الأجوبة التأملية في الحياة عبر استلهام اللحظة الشعورية وتدفقاتها في النص الشعري.

ومن الموت إلى الحياة؛ يُجَسِّدُ الشاعرُ أهميةَ الوصل والوفاء في نص «ليلى وينطفئ الكلام» عبر شعرية الضوء الذي يلجأ إليه الموتى في رؤية الشاعر هنا، فها هو يقول:

ويخبرني أن كل اللصوص

الذين استناروا بحرفيَ

(١) كما جاء في قول الشاعر بعنوان "نافذة" الديوان: ص٩

(٢) الديوان: ص٣٣

ثم تولوا سراعا إلى الضوء

ماتوا !

ووحدِكِ ليلَى

تعيدين تكرار شعرِيَ

كي لا يموت! (١)

والشواهد الشعرية في الديوان لا تقف عند هذه الأمثلة اليسيرة؛ بل تتجاوزها إلى تكوين الظاهرة المنتشرة في تجربة الشاعر، وتشكّل معجمه الدال على الثراء اللغوي، وتنير الأبعاد الموضوعية والفنية المتصلة بشعرية الضوء.

٢- شعرية الضوء والثنائيات الضدية.

الثنائيات من أهم مرتكزات المنهج الإنشائي والمقاربات الكاشفة عن مفتاح النص ومركزيته على مستوى البنية والخطاب معًا. ويتجذر الوعي بالثنايات الضدية في آلية التحكم النصي بالصراع الدرامي بين المتضادات؛ لبناء صور النص وأحداثه، ولعل ثمرة الوعي تكمن في المحافظة على سيرورة الثنائيات الضدية في تماسك النص الإبداعي.

وانطلاقًا من الوعي الشعري لدى الشاعر حلوش بأهمية الضوء والنور في نصوصه الشعرية، وتنويعاته الضوئية داخل الديوان؛ يتجلى الضوء بين شعرية الوجع وشعرية التوتر القائمة على الثنائيات الضدية، حيث يرسم الشاعر حياة أفضل مما هي عليه في اللحظة الراهنة وقت البناء الشعري لقصائده، ولشخصياته الشعرية، وليس هذا فحسب؛ بل يتزايد الاعتناء في آلية الوعي بالثنائيات الضدية وسيرورتها في تماسك النص بين الشخصيات والذات الشاعرة في التجربة الشعرية، وهذا ليس على إطلاقه، ولكن ثمّة ما

(١) الديوان: ص٤٢

يشفع لهذا التوتر الشعري من حيث التداخل بين الأبعاد التأملية في الثنائيات الضدية والرؤية الشعرية الغارقة في عالم الألم، والباحثة عن الأمل في الوقت نفسه.

لهذا الاستدعاء الضوئي وظيفة شعرية تسهم في رفد الوعي الشعري بفكرة الأمل الذي تسعى إليه الذات الشاعرة في مواجهة الصراع مع الآخر والألم، ولا يمكن القول بنهائية الوظيفة إلا بعد القراءة النقدية؛ لأهمية الاستدعاء وفاعلية الحضور في تفكيك مركزية الضوء وإعادة بنائه في التلقي النقدي لكل نص على حدة، ولكن تظل رسالة الذات الشاعرة واضحة وجليّة في المجمل العام المهيمن على الديوان في خلق جانب من شعرية الضوء بوصفها ظاهرة مسيطرة على الشاعر وفكرة البناء وما تحمله من رسالة في الخطاب الشعري.

وحين يدور البناء الشعري على ذاكرة ضوئية في البناء الشعري فإنَّ لحظة الإبداع تضيء مرتين في الديوان: على مستوى الضوء والوجع، وعلى مستوى الضوء والثنائيات الضدية، حيث يكشف الخطاب الشعري عن هذه اللحظة الإبداعية في نصوص شعرية كثيرة، وهو ما يسعى البحث إلى تحليله، بتتبعه لمصادر الضوء في الديوان، وتنويعاته وعلاقاته بالعناصر الأخرى المتمثلة في عالم الثنائيات الضدية.

ولعل البحث في المفهوم يؤدي إلى نتيجة مهمة ترى أن شعرية الضوء ترتبط ارتباطا وثيقا بالثنائيات كونها ظاهرة كونية تقع في دائرتي الخيال والواقع، وتنتقل عبر العلوم الفكرية والدراسات النقدية إلى علم الأدب والشعريات، لا سيما في ارتباط الظاهرة الضوئية بالثنائيات المتضادة، «فالثنائيات الضدية تعنى بالتقابل بين معنيين متضادين؛ لأجل توليد الدلالات داخل النص، وبناء شبكة علاقات تتجلى في الخطاب الأدبي»[1].

(١) ينظر: الديّوب، سمر، الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالاته، سلسلة مصطلحات معاصرة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط١، ١٤٣٩هـ. ص ١٥.

وبهذا يتضح مفهوم الثنائيات عبر ما يعنيه بالتقابل والصراع بين معنى وآخر؛ لتتولد – بعد ذلك – العلاقات الدَّالة في عناصر البناء الشعري، ولكن في حدود ما يتيحه النص، وما تقوله الدلالة الشعرية، وفي ضوء ما يتأرجح في مفهوم الخطاب الشعري.

وبهذه العتبة الأولى يمكننا الانطلاق نحو تتبع شعرية الضوء في التناص بين النور والظلام، وفي علاقات الضوء بالمجاورات المعجمية الرافدة للضوء دلاليا ومعنويا، ليس هذا فحسب؛ بل نرى الشاعر يستحضره في مفهومه للشعر، حيث يقول:

الشعر كائننا العظيم المستبدْ

هو بحرنا المخبوء

في جزر ومدْ.

****

قنديل بهجتنا

وحزن سمائنا

وهج البيادر

والمدائن والأبدْ. (١)

ولاستحضار الضوء في الشعر دلالة على أهميته في بناء المفهوم الشعري، ولكن ماذا عن الصور الشعرية وعلاقاتها القائمة على حركة الأضواء؟ هل سيكون لها حضور في قصائد الديوان؟ وما دلالة الضوء والإصرار عليه في الديوان؟ وبقراءة أولى تتجلى دلالة الضوء في البحث عن الأمل والحياة السامية والحال الأرقى التي يسعى إليها الشاعر مع الذات في قصائده الشعرية، بل نجد الشاعر تجاوز الدلالات الشعرية من خلال رؤيته

(١) الديوان، ص ٥٣

للضوء؛ حيث يراه طوق نجاة يستحضره بين الفينة والأخرى عبر نصوصه الشعرية في الديوان.

ويجد المتلقي ذلك في بعض نصوص الشاعر، حيث يقول:

بعيدًا عن الأضواءِ.. ينحتُ حلمهُ

وينسجُ في قلب القناديلِ وهمهُ ..

وحيدًا.. يصبُّ الشمس فوقَ ظلامهِ

ويقطفُ من أفقِ المجازاتِ نجمهُ.. (١)

يلجأ الشاعر في القصيدة إلى البناء القائم على شعرية الضوء، مع ما تعانيه الذات من الوحدة، ذات البطل المسكونة بالألم، ولكن ليس للألم مكان في عالم الضوء حين يستنجد بالشعر والفن، وإن حطّت الدنيا بقسوتها المظلمة على الذات الشاعرة، ومرّغته الأيام وأحاطت به الأوجاع، يتجلّى الضوء في أفق القصيدة طوقَ نجاةٍ، ولكنه في الوقت ذاته نجد تردد الدلالة بين ثنائية الضوء والظلام، ولعل التردد بين الظلام والضوء يزيح اللثام عن حالة البطل، وتتجلى العلاقة بين البدء والختام في القصيدة؛ مظهرة المناسبة، حيث أنهى القصيدة بقوله:

يَمُدُّ .. إلى حقلِ البياضِ يمينهُ

ولكنَّ صدرَ النارِ.. يعشقُ ضمّهُ!. (٢)

في محاولة للبحث عن الضوء، ولكن المطابقة الضوئية لعبت دورًا مهما في وحدة الرؤية الشعرية بين البدء والخاتمة، ولعل الوحدة تشكلت في رؤية الشاعر للمقطع، حيث

(١) الديوان ، ص ١٥ .

(٢) الديوان ، ص ١٨.

تعد خصيصة في البناء الشعري لديه، وقد تكرر بناؤه الشعري في أكثر من صورة ضوئية في سياق تردده بين ثنائية الظلام والضوء؛ كمن يجمع بين المقدمة للظلام والنتيجة للضوء، وتغدو الذات في النص باحثة عن مصادر الضوء، حتى وإن بالغت في حرق أحلامها المنحوتة، أو نسجت في قلب القناديل أوهامها؛ تظل هناك فاصلة ضوئية للمحاولة وتجديد العهد بالأمل والحياة.

حيث يلجأ الشاعر إلى الثنائيات الضدية في نصه الشعري؛ ليبني عالما من الصراع الدرامي في نفس الذات الشاعرة، وليرسم دائرةً من التوتر الشعري الذي يؤجج الشاعرية حينما يلاحق أفكاره الشاعرة كشاعر، ويصوّر الحلم الذي يحاول الإمساك به؛ لينحته في يومه وحيدا، يتخيل أنه يصب الشمس «مصدر الضوء» في ظلامه الذي يعيشه. ولعل هذه الصورة وغيرها تدل على سيطرة الضوء في ملاحقة الأوجاع التي تنزوي في عالم الظلام والوحدة والألم. واستطاع الشاعر أن ينتصر عبر شعرية الضوء في سيرورة الثنائيات والتلاعب بالصراع والتقابل في بناء صور شعرية متلاحقة، وفي تماسك النص الشعري.

وهو ما يتجلى في التلقي لنصه هذا، وفي نصوص أخرى حيث الجمع بين اليقين والشك، والنور والظلام، والعفريت والملاك، والليل والصبح[1]. ومن المقاطع الشعرية القائمة على الثنائيات الضدية في الديوان قول الشاعر:

لن يطفئوا الإنسان فيكَ ..

يقينُهُمْ أعمَى

فأَشْعِلْ للوجودِ تأهبكْ.. [2]

(١) الديوان ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) الديوان ، ص ٢٢ .

تتأسس هنا ثنائية الإطفاء والاشعال على الحضور الإنساني في الذات الشاعرة، ولا يكون هذا الحضور حضورا باهتا؛ بل حضور لأجل الحياة في مواجهة اليقين الأعمى الذي حاربه الشاعر بإشعال التأهب والنهوض للبحث عن الإنسان الذي يزيل بوعيه المعتقد الأعمى.

يسهم الصراع بين الثنائيات المتضادة في تماسك النص وبناء الدهشة في الصور الشعرية التي تجيء في سياقات ضوئية، ومن ذلك قول الشاعر:

هناك بعيدًا..

غرست ورودَ التجلّي

وسافرت أبحثُ

عن دهشة المفردات الشفيفةِ

كي أشعل الشمس في تربة الهمس

بعد الغيابِ!(١)

ذات الشاعر التي تغرس «ورود التجلي»؛ هي من «أشعلت الشمس» بعد الغياب، ولعل الصورة الضوئية حين تتكئ على الثنائيات الضدية في تماسك نصي كما رأينا في النص؛ فإنها تسهم في بناء الدهشة التي تعزز لدى الشاعر رسم جمالية ضوئية فارقة في سيرورة الضوء وحركته داخل القصيدة الشعرية.

ويحضر الصراع الثنائي بين الليل والصبح في سياق شعرية الضوء، حيث قال الشاعر:

الليل مال

على بياض جسورها

(٢) الديوان، ص ٤٣ .

والصبح ذاب

على اللجين المبدعِ! [1]

لجأ الشاعر في تجسيده الجمالي للجسد الأنثوي عبر عنوان القصيدة «**أنثى كوجه الشمس!**»، ولعل العلاقة قائمة بين العنوان والقصيدة في تجلية استدعاء ثنائية الليل والصبح؛ للكشف عن دلالة الجسد الأنثوي والشمس كمصدر للضوء، ولهذا الاستدعاء الجمالي في البنية والخطاب دلالة على احتفاء بالجمال الجسدي للأنثى التي تشبه الشمس، ليس هذا فحسب؛ بل حينما تجتمع شعرية الضوء والثنائيات المتضادة؛ فإنها تتكشف عن بنية شعرية متماسكة معبرة عن خطاب دال على أهمية الضوء في تشكيل الدلالات وبنائها في الخطاب الشعري؛ وليس هذا فحسب بل على مستوى التجربة الشعرية عموما.

كما تتجلى حركة الأضواء في قصيدة «**هالات البياض**»[2]، فمنذ العنوان الملّح على التنقلات بين الأضواء نجد في القصيدة منذ البدء بنائية دلالات الضوء؛ حيث تمثلت في بزوغ الفجر والنور، ولكن لم تأتِ الأضواء هنا في علاقة مع الوجع والألم؛ بل جاءت متسّقة في سياق الأنغام والأغنيات والموسيقى والحياة، والبحث عن حركة الروح تجاه الأضواء بكل ما تحمله من دلالات متنوعة، ومن ذلك يجد المتلقي: أن فراشات النبض تستظل بالغيم؛ لتغزل صبحا موسيقاه الجداول وخرير الماء، ولنا أن نتصور المشهد؛ كيف رسمه الشاعر؟

وللإجابة عن السؤال يمكن للمتلقي تتبع الصور التي تشي بحركة الأضواء داخل القصيدة، ويبحث عن بناء الصور الضوئية ومآلتها في نهاية كل صورة يرسمها الشاعر،

(١) الديوان ، ص ٢٢ .

(٢) الديوان ، ص ٧٣ .

حيث يتجلى البناء الشعري للضوء في رسم معانٍ متعددة تكشف عن حركة المعنى في كل صورة من هذه الصور، وهو ما أشرت إليه سابقا، ومن ذلك مثلا:

تساقيهِ أضواءُ الخيالِ

بِمُهجتي

فينثالُ همسًا

كيفما الشوقُ ناهلُ

****

نسجنا معًا للكون

أندى ابتسامة

لتشدوَ في

بوح الضياء البلابلُ

****

وتحتَ بياضِ الروحِ

أنواءُ عاشقٍ

له في جبينِ الشمسِ

بحرٌ وساحلُ

****

تهدهدهُ الآمالُ ..

في كل مشرقٍ

وتسكبهُ في المغربين الأصائلُ. [1]

تحيل الصور الضوئية في كل مقطع من المقاطع السابقة إلى معانٍ متعددة، يتتبع فيها الشاعر حركة الأضواء في شعره، ولكن في نوع من التشظي للذات بين ثنائية الضوء والعتمة.

وبناء على ما تقدم نجد الشاعر يتكئ في نصوصه الشعرية على الثنائيات المتضادة للبحث عن الدهشة؛ لا سيما في سياق الصور الضوئية وشعرية الضوء على مستوى البنية النصية والخطاب الشعري، وتجلت الثنائيات للإبانة عن الصراع داخل الذات في البناء النصي، وأفصح الخطاب الشعري عن معانٍ إنسانية حاول الشاعر بثّها متكئا على البناء الشعري للصور الضوئية في نصوص الديوان.

٣-شعرية الضوء والرمز:

اشتغل النقاد على فكرة الجمع بين العلامة والدلالة منذ بداية المقاربات الإنشائية وإسهامات اللسانيين الراسخين في النقد الألسني والدراسات اللغوية والأدبية، حتى انتهى الأمر بترك الأثر في النظرية السيمائية [2]. ومن هنا تعاملت الدراسات السيمائية مع الرمز في دراسات بينية تداخلت كثيرا مع المناهج والرؤى النقدية في تحليل النصوص الإبداعية، ودراسة الخطاب الأدبي، وأتفقْ كثيرا مع الدكتور أحمد يوسف في وسمه

(١) الديوان ، ص ٧٣ .

(٢) ينظر: يوسف، أحمد، **النظرية السيمائية**: من العلامة إلى الخطاب، من إصدارات كرسي عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، ط ١، ١٤١٩هـ، ص٤. وهناك دراسات درست الضوء في الفنون التشكيلية والأدبية، ومن هذه الدراسات: دراسة رلى عدنان الكيال، **الضوء والظل بين فني الشعر والتصوير**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط ٢٠١١م.

للخطاب بالموضوع البيني[1]، لا سيما في سياقات الصور والدلالات الضوئية؛ لأنها تجمع بين الحركة والسكون، فتجد الأدب المكتوب والمسموع والمرئي، ويمكن للمتلقي إدراك الحركة والتفاعل معها عبر ما يحمله النص والخطاب من صور فاعلة ومؤثرة في الوقت نفسه. كما أنه يمكن أن نجد تداخل الفنون كالرسم والأدب مثلا في بناء الدلالات والصور الضوئية.

لذا تتشكّل شعرية الضوء لدى الشاعر إبراهيم حلّوش مُعَبِّرَةً عن حركة الصور الضوئية والدلالات الموحية؛ لبناء نصوص شعرية تتأرجح بين جماليتي الوضوح والغموض عبر المستويات الشعرية السطحية والعميقة؛ لنقل الرؤية الشعرية إلى المتلقين، والبحث عن جمال الدهشة الكامنة في الرمز الشعري.

وينبغي لدارس الرمز الشعري الغوص عميقا في المستويات العميقة للمعنى والرؤية التي تقارب رؤية الشاعر وتلامس قصده في التعبير الإبداعي الذي أراد، وتنقلها إلى القراء والمستمعين عبر ما يظهره الخطاب الشعري.

اعتنى الشاعر ببعض الدلالات الضوئية الدالة على اهتمامه بحركة الضوء في النص الشعري عبر سياق الصور الشعرية التي ترد فيها، ومن ذلك مثلا: حقل البياض، وبوح الضياء، وبياض الروح، وجبين الشمس، وقناديل السلام، وقباب النور؛ راسمة دلالاتٍ وصورًا تستحضر معانيها في الخطاب الشعري.

ولكنه تجاوز هذه الدلالات إلى رموز توقَّفَ الشاعر كثيرا أمامها، ومن ذلك ما أورده من الرموز الشعرية الملحّة في الديوان، ومنها: البطل الموجوع، والمرأة المثال، ولعل هذا الإلحاح في التجربة الشعرية على استحضار الرمزين؛ يجعلنا بحاجة إلى تأمل لأهمية الرمز في البناء الشعري، إذ نجده في قصيدته المعنونة بـ «**لن يطفئوا الإنسان فيك**» يتكئ على رمزية البطل الموجوع والمتعب في الوقت نفسه، ولكنه سرعان ما يورده في صور ضوئية

(١) ينظر: **النظرية السيمائية**: من العلامة إلى الخطاب، ص ٢٠١.

استدعاءً لصور أخرى تجعله محكوما بالأمل والحب، باحثا عن أمل متجدد، محاولا تحفيز الإنسان في داخله؛ بحثه على التأهب والاستمرار في الحياة، متحديا الأصوات المحاربة لعذابات الذات، والشاعر يتوسط بين بطل القصيدة والآخرين في ردم مسافات الفراغ داخل «البطل الإنسان»، لا سيما في الخاتمة التي ترجمت العنوان، واختزلت الفكرة:

لن يطفئوا الإنسان فيكَ ..

يقينُهُمْ أعمَى

فأَشْعِلْ للوجودِ تأهبكْ.. (١)

وإن ذابت «شموع السهد» على جفون البطل الموجوع؛ فإنه لا يزال محكوما بالأمل في البحث عن لحظة التأهب؛ لحياة جديدة وأمل متجدد، وإن ألقوه في «جبّ الغياب» مواسما؛ فلا يزال مفتّشا عن الحياة المتمثلة في عشبها المتجدد. ولعل هذه الصور المتلاحقة؛ التي يختتم فيها الدلالات بالأمل والحياة ذات دلالة على بحثه عن مفارقة للألم بالأمل المنتظر.

أما في قصيدة «**كل الجهات وجع!**» فإنه يبتدئ النص بالتحديق في النهار وهو يغض الطرف، صورة ضوئية في بعدها الدرامي، إذ يقول:

يحدقُ ..

والنهار يغض طرفهُ

وفي قدح المساء

يصبُّ حرفه (٢)

(١) الديوان ، ص ٢٣ .

(٢) الديوان ، ص ٢٩ .

تبدو حركية الصورة في التفاعل بين التحديق وغض البصر وانصباب حروف الكلام، ولعل درامية الصورة تظهر استمرارية الرؤية الحَدَثْيّة في النص.

وعن رمزية البطل الموجوع تتجلى في قصيدة «حالات البياض» صور ضوئية، كقول الشاعر:

فتلك قباب النور

أضحى بريقها..

مزارًا

تناغيه القلوبُ الرواحلُ..

وتلك قناديل السلام

تشبَّثَتْ

بأصداء فرقانٍ

به الحق آهلُ (١)

وبهذه الصور الشعرية يتجلَّى الرمزُ في دلالات مرتبطة بالضوء كالنور والبريق التي أضحت مزارا تناغيه القلوب الراحلة، وبالإشارة إلى القباب والقناديل ذات الدلالة المرجعية في الإشارة التواصلية تتشبّث بأصداء الفرقان الآهل بالحق.

ولعل شعرية الضوء هنا تتكشف في الخطاب عن أهمية الخاتمة التي تركزت على استحضار التراتيل والهالات والرايات المرتبطة بالإحسان والتقى والسمو الذي يترفع به البطل عن التردي في حالات الوجع، كما أنها كشفت عن أضواء الخيال وبياض الروح

(١) الديوان ، ص ٧٧ .

وأنواء العاشق التي واجه بها الرمز إحساس البطل في النص عبر الصور المتلاحقة للدلالة عن استحضار الضوء في سياق الانتقال به من الألم إلى الأمل.

ولكل شاعر عالمه الخاص في استحضار الرمز الشعري، يحمل الرؤى الجمالية والفلسفية تجاه الآخر، أيًّا كان هذا الآخر واستحضاره في الخيال الإبداعي، ولعل المواقف التي مرّ بها الشاعر تعددت أسبابها، واختلفت مناسباتها، حيث انعكست وتنوعت في النظر إلى الآخر، مما استدعى الشاعر إلى إعادة بناء التصوّر جماليا للآخر في النص الشعري، ليس هذا فحسب، بل امتد تصوّره إلى التنويعات التأملية والجمالية لشخصياته وأبطاله في قصائد الديوان.

أما رمز الأنثى المثال، فهي تجيء مفردةً ومجتمعة مع رمز البطل الموجوع، حيث يتجلى الرمز في قصيدة «**أنثى تحرر الوجع**»، وتعد علامةً بارزة في الديوان، حيث يقول الشاعر:

جفّتْ ترانيميَ البيضاء

والتحفت بالبؤسِ

وانشقّت الأحلام والصورُ

لكنني رغم قيدي

طرتُ مهتديًا

بضوء عينيكِ..

حتى زفني القمرُ:

قصيدةً يدهشُ الأسماع مطلعها

ويصطفيها

الشذا..

والمياه..

والزهَرُ.. (١)

تتبدى هنا معاناة الذات مع الواقع المرير والمظلم بصوره المتمثلة في الغياب والصمت والوحشة، ولا تغرق الذات في هذه الصور المظلمة، بل سرعان ما تبحث عن طوق النجاة المتمثل في المرأة الدليل والأنثى المثال التي تعكس دلالات منها: الضوء والنور والاهتداء. حيث بدا الانكسار في الاجتماع بين البطل الموجوع والأنثى المثال في القصيدة من هذا المقطع التحولي في النص الشعري.

ولعل ما يبرر استحضار أدبية الضوء بحقوله الدلالية في الأنثى المثال؛ إعجاب الشاعر بالمرأة المثال في حياته، لذا ابتدأ بالمخاوف المتجسدة في الهمّ «المعشّش» داخل الجسد، الجسد المعلّق بخيوط الصمت، مبينا عن حال الذات المرتبكة في الحياة، والمُرْهَقَة بمحيط مخيف يكتنفه الظلام، وفي ثنايا المحيط الممتلئ بصور الوجع المترددة بين الكدر والوحل، ارتأى الشاعر أن يلجأ إلى كسر المحيط بالأنثى المثال؛ الأنثى الباعثة للأمل المتجدد، وبالضوء عبر حقوله الدالة على الحياة، فغدت طوق نجاة في وقوفها بجانب الذات المتألمة؛ لتريه الحياة وتَعْبُرُ بهِ نحوَ صورٍ ضوئية معبرة عن لحظة الانتقال من اللحظة المسترة بالظلام والوحشة إلى لحظة مضيئة عبّر عنها الشاعر بقنديل المشاعر النابض بالشعر والحياة.

لم يقف الشاعر عند لحظات الانسياب الضوئي في القصيدة؛ بل ألمح إلى أهمية استحضار المرأة الدليل، التي تأخذ بيد الذات المحتارة والبائسة إلى آفاق من الضوء والاهتداء، تجسّد ذلك في التنويع بين الأسئلة والأجوبة الشعرية في الصور المتوالية؛

(١) الديوان، ص ٥٠ .

ليمنحها الخلود الذي يشبه المعجزات حين لجأ إلى المبالغة في الجواب كونه جعل «أنثاه» المعجزة الثامنة بعد معجزات الكون السبعة.

ويجتمع الرمزان في النصوص الشعرية الأخرى، ففي قصيدة «ليلى وينطفئ الكلام» إذ يقول الشاعر:

ويخبرني أن كل اللصوص

الذين استناروا بحرفيَ

ثم تولوا سراعا إلى الضوء

ماتوا !

ووحدِكِ ليلَى

تعيدين تكرار شعرِيَ

كي لا يموت! (١)

يبتدئ الشاعر قصيدته باسم الإشارة «هناك» ويكررها في المقطع الثاني، للدلالة على أهمية الإشارة التواصلية، وهو ما أشار إلى أهميته **أمبرتو إيكو** في كتابه «العلامة تحليل المفهوم وتاريخه» بالموجهات الانتباهية، بقوله: «إنها علامات ميتالغوية تحدد الاستعمال الصحيح للعلامات الأخرى التي يتم التلفظ بها فعليا، أن الموجه الانتباهي له دائما مدلول (بحيث يمكن استعماله في سياقات تكون فيها المرجعية وهمية)، ولكنه يلعب دورا أساسا في فعل المرجعية الضمنية أو الصريحة»(٢). ولأسماء الإشارة البعيدة في نص الشاعر دلالة على سبب الآلام للبطل الموجوع فكانت نتيجتها وجود الأنثى

(١) الديوان، ص٤٢

(٢) إيكو، أمبرتو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ص٩٣

المثال في انتشال الذات نحو الشعور بالأمان، وتبدو شعرية الضوء في اجتماع الرمزين متجليّةً عن مرجعية ضوئية أرادها الشاعر في إيصال دلالة الوجع المنبثقة عن فعل الإخبار بأن اللصوص الذين استناروا بشعره فرّوا إلى الضوء سراعًا؛ ووحدها «ليلى» تمنحه الضوء والحياة.

كما يظهر اجتماع الرمزين في قصيدة «عاشق يهذي بالخيال»[1] حيث أورد الشاعر الرمزين في صور متكررة داخل النص الشعري؛ للدلالة على التعالق الرمزي بين البطل الموجوع والأنثى المثال، وبهذا تتجلّى كثير من الصور الضوئية في نصوص الشاعر ورموزه الشعرية عبر ديوانه «أنثى تحرر الوجع!».

(١) الديوان، ص٦٩

خاتمة

تعد شعرية الضوء في ديوان إبراهيم حلوش «**أنثى تحرر الوجع!**» بيانًا بلاغيًّا، يتكئ على الصور الضوئية التي تشكّلت في بنى شعرية ثريّة، حيث توصلت الدراسة إلى الوعي بالبناء الشعري والدلالات المتنوعة والفارقة في أدبية الضوء، وانتهت إلى النتائج الاتية:

- تتسم كثير من الصور بالبحث عن الضوء المتمثّل في الأمل والحياة والأنثى المثال والسمو والارتقاء بالنفس عن أوجاع الذات وما يعترضها من ألم.
- دلّت الثنائيات الضدية في أدبية الضوء على أهمية التماسك النصي في النصوص الشعرية.
- الارتقاء بتوظيف الضوء في موضوعات تتصل بالحياة الموجعة والمواقف المؤلمة، ويتكثف حضوره في الاهتداء عبر الأنثى المثال التي تجسّدت في صور منها: طوق النجاة.
- تنوعت مصادر الضوء، وتعددت حركة الأضواء في البناء التصويري عبر الكثير من النصوص الشعرية.
- أبانت شعرية الضوء عن تنوع الصور الضوئية؛ كاشفةً عن عالمٍ من الألوان توازي المقامات وتشكّلات الذات عبر مواقفها وسياقاتها الشعرية.
- تجلت الثنائيات للإبانة عن الصراع داخل الذات في البنية النصية، وأفصح الخطاب الشعري عن معانٍ إنسانية حاول الشاعر بثّها متكئا على البناء الشعري للصور الضوئية في نصوص الديوان.
- حضر الرمز الشعري في أدبية الضوء عبر صورتين في الديوان، تمثلا في: صورة البطل الموجوع والأنثى المثال.

وتوصي الدراسة بمتابعة البحث عن شعرية الضوء لدى الشاعر في نصوصه الشعرية التي أخرجها بعد الديوان، ومن ثمَّ الموازنة بين النصوص الشعرية قبل فقد بصره وبعده، والاتجاه إلى دراسة أدبية الضوء لدى شعراء آخرين.

المصادر والمراجع

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت. ط٣- ١٤١٤ هـ
- إيكو، أمبرتو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢. ٢٠٠٧م.
- حلوش، إبراهيم، (أنثى تحرر الوجع!) نادي الباحة الأدبي، دار الانتشار العربي، ط ١. ٢٠١٧م،
- الديّوب، سمر، الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالاته، سلسلة مصطلحات معاصرة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ط١، ١٤٣٩هـ.
- الفيفي، زاهر، «تمثلات الوجع في ديوان أنثى تحرر الوجع!» مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، العدد: ٩، السنة: الثالثة: سبتمبر- ديسمبر: ٢٠٢٠م محرم – ربيع الآخر ١٤٤٢هـ
- الكيال، رلى عدنان، الضوء والظل بين فني الشعر والتصوير، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ٢٠١١م.
- الكيلاني، مريم محمد هاشم البغدادي، مقالات في الأدب العربي القديم، دراسة مقارنة، والبحث: «ظاهرة الضوء جماليا في الشعر الجاهلي» إصدارات دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة، كتاب المنهل (٢١) السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ.
- المعجم الوسيط، باب الضاد، المكتبة الشاملة.
- مفتاح، محمد، تحليل النص الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب. ط ٤ ، ٢٠٠٥ م.

- مقالات في الأدب العربي القديم، دراسة مقارنة، والبحث: «ظاهرة الضوء جماليا في الشعر الجاهلي» إصدارات دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة، كتاب المنهل (٢١) السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ.
- الهلالي، د. أحمد بن عيسى، النور والظلام في الشعر السعودي، دراسة نقدية، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ط ١٤٣٧هـ.
- يوسف، أحمد، النظرية السيمائية: من العلامة إلى الخطاب، من إصدارات كرسي عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، ط ١، ١٤١٩هـ.